أساطير سحر الأعداد وأعداد السحر

عمرو عبد العزيز منير ■

أساطير العدد سبعة

السحر من أول الأمور التي اهتم بها الإنسان واعتقد في وجودها وحقيقتها، فقد نقش معتقداته وطقوسه وتعاليمه ومعرفته على هذه الصخور أو صنع لها التماثيل، ولما ارتقى به أمر القراءة والكتابة عمد إلى الكتابة فيه، وترك مخلفات كثيرة بين مخطوط ومكتوب ومنقوش، تدلنا جميعها على مبلغ اهتمامه بالسحر، وما زال على هذا المنوال، حتى يومنا هذا وفي مصر كان السحر يكمن في أمور أخرى عند بعض الرحالة والمؤرخين والكتَّاب من المسلمين، وإن لم تكن مصر جذابة لهم في حد ذاتها، فجاذبيتها بالنسبة لهم كانت تنبع من ارتباطها بأشياء أخرى؛ فمثلا اهتم التلمساني (المتوفى سنة 776هـ) بعجائب مصر من منظور آخر في

■ باحث من مصر.

كتابه «سكردان السلطان»[1]، وهو كتاب أدبي تاريخي، يشتمل على أنواع الجد والهزل، ألفة للسلطان الملك الناصر بن أبي المحاسن في سنة 757هـ، في خواص السبعة التي هي أشرف الأعداد، وحاول أن يشعرنا فيه بأن هناك رابطاً سحرياً غامضاً بين عجائب أرض مصر، وبين العدد سبعة، حتى أنه خصص باباً كاملاً في هذا الشأن تحت عنوان: «في ذكر نبذة مما وقع في إقليم مصر من هذا العدد على طريق الإجمال»[2]. فيشير لذلك بقوله: «فلما كانت السبعة من أشرف الأعداد، وكان وجودها بمصر المحروسة أكثر من سائر البلاد، ألفت منها في هذا الكتاب سنة سبع وخمسين وسبعمائة ما لم أسبق إليه، ولا أحد في الأقاليم السبعة عليه، وسيأتي مصداق هذا الكلام، ولا سيما عند ذكر قصة يوسف الصديق عليه السلام»[3] ومن أطرف الحكايات التي تَنْسِب إلى قدماء المصريين قدرات خارقة مرتبطة بأسرار العدد سبعة: أن أحد ملوك مصر القدامى «عمل مرآة من المعادن السبعة[4]، فينظر فيها إلى الأقاليم السبعة،

شكل سحري منتشر بمصنفات السحر الشعبي عن طبائع الأنفس يشبه فلك البروج بمعبد دندرة

1 ـ **السكردان** في الأصل: خوان يوضع فيه الشراب.

2 ـ التلمساني (ابن أبي حجلة أحمد بن يحيى) (ت776هـ): **سكردان السلطان** (الطبعة الثانية، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة 1957م)، ص 351.

3 ـ **المصدر السابق**، ص 349.

4 ـ آنا رويز: **روح مصر القديمة**، ترجمة: إكرام يوسفِ، سلسلة المشروع القومي للترجمة، العدد 965، الطبعة الأولى، القاهرة 2005، ص 184.

فيعرف ما أخصب منها وما أجدب، وما حدث فيها من الحوادث، وعمل في وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه، فأي امرأة أصابها وجع في جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك المرأة فتبرأ من ساعتها، وهذا من العجائب»[1]. والثابت تاريخياً أنه كان المصريون أول الكيميائيين، وكانوا في عملياتهم التحويلية قد اشتغلوا بالمعادن السبعة: الذهب، الفضة، الزئبق، النحاس، والحديد، الزنك، الرصاص، ويتحكم في كل منها الكواكب السبعة على التوالي التي كانت تُعْبَد: الشمس، والقمر، عطارد، الزهرة، المريخ والمشتري، وزحل.

فأسطورية الرقم (سبعة) وظهوراته ـ في الكتابات التاريخية عند المسلمين ـ يكاد لا ينتهي؛ إذ أنها رمزية تتدرج في نطاق الرمزية (الكوزمولوچية) ظلت محافظة على قدسيتها واستسراريتها عبر العصور، ولدى أغلب الشعوب، رغم تغير المعتقدات والأديان، شأنها كشأن المكان المقدس الذي يكون معبداً وثنياً، ثم يصير كنيسة، فجامعاً، فمدرسة دينية، فقد مثل الرقم (سبعة) دائماً رقماً ملغزاً سحرياً، يجسد المعرفة المكثفة، والتنوير، والروحانية، وفي مصر يبرز الرقم (سبعة) دائماً فيما يتعلق بالعجائب والأساطير، والمعبودات، والفراعنة، والكيانات الروحية، والفلك[2].

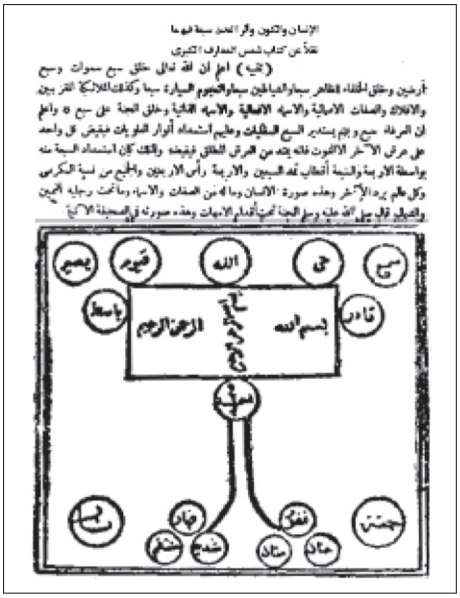

1 ـ التلمساني، **المصدر السابق**، ص 433؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص 33.

2 ـ آنا رويز، **روح مصر القديمة**، ص 184.

العدد سبعة أيضاً له مكانته المميزة والاستسرارية في مصنفات السحر الشعبي، فيقول البوني في كتابه (شمس المعارف الكبرى) في شأن العدد سبعة: «واعلم أن الله خلق سبع سموات، وسبع أرضين، وخلق الخلفاء للظاهر سبعاً، والشياطين سبعاً، والنجوم السيارة سبعاً، وكذلك الملائكة المقربين، والأفلاك، والصفات الأسمائية، والأسماء الأفعالية، والأسماء الذاتية، وخلق الجنة على سبع، وأعلم أن العرفاء سبع، وبهم يستدير السبع السفليات، وعليهم استمداد أنوار العلويات فيفيض كل واحد على عرش الآخر إلا الغوث فإنه يمتد من العرش المطلق فيفيضه، ولذلك كان استمداد السبعة منه بواسطة الأربعة، والسبعة أقطاب تمد السبعين والأربعة رأس الأربعين، والجميع من نسبة الكرسي وكل عالم يردّ الآخر، وهذه صورة الإنسان، وما له من الصفات والأسماء، وما تحت رجليه اليمين والشمال. قال ﷺ: «**الجنة تحت أقدام الأمهات وهذه صورته**»[1].

السحر المكتوب وسر الحروف

لذا يعدُّ السحر المكتوب أكثر ضروب السحر الرسمي أهمية لدى العامة، وتتبع أهميته البالغة من حيث هو - في نظر العامة - «سحر عالم»؛ بمعنى أنه يقوم على علوم مضبوطة القواعد تدرس، عكس ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى السحر الشعبي الذي تتناقل وصفاته بين عامة الناس عن طريق المشافهة، وإذا كانت فعالية السحر الشعبي نسبية؛ نظراً لكونه يتداول بشكل مفتوح بين العامة؛ فإن سحر الأحرف والأرقام يعد «مؤكد الفعالية»؛ بسبب توفره على شَرْطَيّ الغموض والسرية الضروريين

1 - البوني (أحمد بن علي بن يوسف البوني) (ت622هـ): **شمس المعارف الكبرى المسمى شمس المعارف ولطائف العوارف** (مكتبة جمهورية مصر العربية، دون تاريخ)، ص 462.

لتمام العملية السحرية ونجاحها. وذلك من خلال الوفق، والوفق يسمى أيضاً في لغة أهل «الحرف» الجدول أو المربع، ويسمى أيضاً الخاتم، وهو جدول يتكون من عدد معين من الخانات أفقياً ومثلها عمودياً، وتتوافق أعدادها وأحرفها، وتستوي في الأقطار والزوايا وعدم التكرار؛ لتنتج مفعولاً سحرياً وتختلف أسماء الأوفاق بحسب عدد أضلاعها، ففي الحال التي يكون عددها ثلاثاً يسمى الوفق مثلثاً، وفي حال الأربعة مربعاً، وهكذا إلى المعشر الذي هو الجدول المشكل من عشر خانات عمودية وعشر أفقية. وبحسب البوني فإن لكل صنف من الأوفاق أغراضاً يتوسل به إلى قضائها، وهكذا فإن المثلث: لأعمال الخير، وتيسير الأعمال العسرة كإطلاق المسجون، وتسهيل الولادة، ودفع الخصومة، والظفر بالعدو، والأمن من الغرق، وابتداء الأعمال، وذهاب ريح القولنج. والمربع: لأعمال الخير كالمحبة والجذب، ومنع التعب، والنصرة على الحرب، والجاه والقبول، ولقاء الأمراء، وكسب مودة النساء. والمخمس: لأعمال الشر كتسليط المرض والفرقة، والعداوة، والخراب والرجم. أما المسدس: لأعمال الخير فهو كالرفعة، والجاه والعمارة والنصر وزيادة المال. والمسبع: للظفر بالعدو، وتسهيل العلوم، ومنع السحر، وإذهاب البلادة. والمثمن: لأعمال الخير، والشر، والجاه، وجلب الأمطار، والبرء من المرض، وذهاب الجنون، وتسهيل العلوم، وابتداء الأعمال، والإخفاء عن أعين الناس. والمتسع: لأعمال الخير كالجاه، والقبول، ودفع الخصومة، والأمن من المكائد، وللمحبة، والنصرة في الحرب، ومنع البرودة من الأعصاب، وإذهاب البلغم. وأخيراً المعشر: للعظمة والشرف، ومنع الحديد، ودفع السموم،

يعدُّ السحر المكتوب أكثر ضروب السحر الرسمي أهمية لدى العامة

وذهــاب الوبــاء، وتسهيل الأمــور الشاقة، وقضــاء الحوائج مــن الأمراء والسلاطين، والنصرة في الحرب وغير ذلك.

القيمة السحرية للأعداد

وهكــذا كان لأرقــام معينة في مثيولوجيــات الشرق الأدنــى القديم «قيّمُ سحريــة» عُــدّت بالغة الفعالية، إلا أن الأعداد عنــد اليهود ـ الذين لم يعرفوا الأرقــام ـ أصبحــت ذائعة منتشــرة، افترشت صفحات (العهــد القديم) كله، وســرت فــي أوصــال الديانة، وربمــا انتقل هذا التأثيــر إلى كتابــات الرحالة والمؤرخيــن الذيــن لم يجدوا بين أيديهــم تفاصيل يشرحون بهــا الكثير مما ورد فــي القرآن الكريم من أخبار مصر القديمة، فالتمسوا المادة فيما وصل إليهــم من تفاصيل ممــا روي من هذه الأحداث في الكتــب الدينية المتداولة بين اليهود والنصارى[1].

وعندمــا توصــل الفيثاغوريــون سنــة 540 ق.م إلى التفكير فــي الأعداد كعنصر أساسي لتقويم كافة الأشيــاء ـ أمكــن عن طريق هذا التفكير تطوير الرياضة وإدخالهــا في مجــال جديد، ولقــد تسنــى استكمــال هذه الرياضــة بعدئــذ علــى يــد فلاسفــة العرب فــي العصر الإسلامــي، ثــم توقــف مــن بعدهم تطوير الرياضة فترة

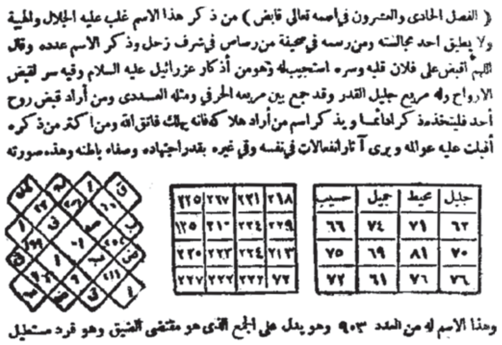
(الفصل الحادى والعشرون في اسمه تعالى قابض) من ذكر هذا الاسم غلب عليه الجلال والهيبة ولا يطيق احد مجالسته ومن رسمه في صحيفة من رصاص في شرف زحل وذكر الاسم عدده وقال اللهم اقبض على فلان قلبه وسره استجيب له وهو من أذكار عزرائيل عليه السلام وفيه سر لقبض الارواح وله مربع جليل القدر وقد جمع بين مربعه الحرفي ومثله العددى ومن أراد قبض روح أحد فليتخذه ذكرا دائما ويذكر اسم من أراد هلاكه فانه يهلك فاتق الله ومن اكثر من ذكره أقبلت عليه عوالمه ويرى آثار انفعالات في نفسه وفي غيره بقدر اجتهاده وصفاء باطنه وهذه صورته

جليل	محيط	جميل	حسيب
٦٢	٧١	٧٤	٦٦
٧٠	٨١	٦٩	٧٥
٧٦	٧٦	٦١	٧٢

٢١٨	٢٢١	٢٢٧	٢٢٥
٢٢٩	٢٢٤	٢١٠	١٢٥
٢١٣	٢٢٤	٢٢٢	٢٢٠
٧٢	٢٢٢	٢٢٢	٢٢٧

وهذا الاسم له من العدد ٩٠٣ وهو يدل على الجمع الذى هو مقتضى الضيق وهو فرد مستطيل

مثال للقيم العددية للحروف (اسم الله القابض)
نقلاً عن كتاب شمس المعارف الكبرى

1 ـ شفيق مقار، **السحر في التوراة والعهد القديم** (الطبعة الأولى، مكتبة رياض الريس، بيروت 1990م)، ص 463 وص 504؛ حسين مؤنس، **الحضارة**، ص 70.

من الزمن. ولقد ارتبطت الأعداد عند اليونان بالماديات، ولذلك نراها ترتبط منذ بداية التفكير فيها بمولد الإنسان ووجوده جثمانياً في الطبيعة، ولا غرابة أن نجد في الرموز الرياضية للفيثاغوريين التي تجنبت تحديد الوقت أنها ترمز أيضاً إلى رحم الأم الذي يعدُّ مصدر الحياة.

في البدء كان الواحد

ال	ر	زا	ق
٩	٩٩	٣٢	١٩٩
٩٨	٦	١٠٢	٣٣
٢٠١	٢٤	٩٧	٧

القيمة العددية لأسم الله الرزاق ويرى أصحاب المصنفات ذلك الطابع السحري أن لهذا (الوفق) منفعة لجلب الرزق

وحاز العدد 1 (واحد) قداسة خاصة في الفكر المصري؛ لأنه ـ في ذلك الفكر ـ ارتبط بالألوهية، وبالبدء، وبالزمن الأول الذي لم يكن قد وُجد فيه شيء على أرض مصر. فهو تجسُّد المطلق والوحدة، وهو الذي يولّد التعدّد من ذاته. ومتى دلفنا إلى عالم الأعداد المسحور ذاك، سنجد أنفسنا مواجهين ـ بلا مهرب قبل أي شئ آخر ـ بالعدد واحد، وبالتالي بمسألة خلق العالم وقضية التوحيد.

في بردية (نسي آمسو) نجد أنه: قبل أن يوجد العالم وما فيه ومن فيه لم يكن هناك إلا الواحد، وعندما حان وقت التعدد والكثرة «صنع الواحد فمه، وبفمه نطق باسمه بكلمة القدرة فأوجد ذاته، وبزغ من المادة الأولى التي وجدت بغير شكل منذ الأزل، وكان الواحد كامناً فيها، وكان اسمه أوزيريس ـ جبلة المادة الأولى ـ ولم يكن هناك وجود لشيء قبله، ولم يكن هناك غيره، وعندما بزغ بكلمة فمه ـ إذ نطق باسمه ـ صنع كل الأشياء وحده».

وفي كتاب الموتى يقول الإله: «أنا الواحد. أنا الأوحد، أنا رع الذي بزغ في البدء، أنا الإله العظيم الذي أوجد ذاته بذاته، وجعل أسماءه جمع آلهة في الإله الواحد»، ثم يقول الإله: «أنا الأمس، أنا اليوم، أنا الغد، أنا بالأمس أوزيريس، أنا اليوم رع، أنا في الغد حورس».

وكما قدس المصريون العدد واحد قدسوا العدد (2)؛ لأنه رَمَزَ في فكرهم الديني إلى التثنية: إلى خلق ما هو أعلى وما هو أسفل، إلى خلق الليل والنهار، إلى تثنية جنس الإله بحيث هو لا جنس له، وإلى خلق الذكر والأنثى[1].

فالواحد المطلق إذ يعي ذاته يخلق التعدد، فيصبح الواحد اثنين، ويخلق التقابل والتضاد. فالعدد (2) يعبّر عن التضاد وتباين الطبيعة والاستقطاب، وفي الأسطورية المصرية تمثَّل ذلك أساساً في التضاد بين أوزيريس وست، ثم بين حورس وست. وكذلك ارتبط العدد (2) ـ الذي أتى من ازدواج العدد المفرد ـ بالعضو الجنسي عند الرجل، أما العدد (3) فقد ارتبط ـ حسب رياضة اليونان هذه ـ بالتكاثر الناجم عن اقتران الرجل بالمرأة[2].

وفي الأسطورية المصرية اكتسب العدد (3) قداسة خاصة استمدت من قداسة الثالوث الأوزيريسي: أوزيريس ـ إيزيس ـ حورس، وثالوث طيبة: آمون ـ مُتّ ـ خِنسو. وبشكل عام وجد الفكر المصري أن ذلك هو العدد الذي له بداية ووسط، ونهاية، ووجده أول الأعداد تجسيداً لكمال الوحدة المركَّبة، الرمز الرئيس للألوهية عند المصريين، باعتباره رمز الكامل كمالاً مطلقاً، واللامتناهي، الذي كان، والذي هو كائن، والذي سوف يكون («أنا الأمس، وأنا اليوم، وأنا الغد»). ومن قداسة ذلك العدد، قُسم النهار إلى ثلاثة أوقات: الصبح، والظهر، والمساء؛ لإقامة الصلوات في المعابد كل يوم.

---

1 ـ شفيق مقار، **السحر في التوراة**، ص 478.

2 ـ سعد الخاتم، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية** (سلسلة الألف كتاب، العدد 488، القاهرة، ص 154).

الثالوث المقدس في الأساطير

ولـم يكن وقوف المصريين على ذلـك المفهوم التثليثي عشوائياً أو من قبيل التهويم: «فأي ظاهرة من ظواهر العالم الطبيعي تمثل ـ لحظة حدوثه ـ لحظـة من التوازن بين قوى موجبـة وقوى سالبة، ولقد كان العقل المصري المستنير قادراً على إدراك ذلك، والتعامل معه بعلمه المتقدم. ومن الواضح أن علمـاً يقـدر على فهم تلك الحقيقـة يصبح قادراً أيضاً علـى إدراك أنه مستطيـع، متى توصل إلى معرفة كافية بتلك القـوى الموجبة والسالبة، وأن يتوصـل ـ عن طريق الاستنتاج ـ إلـى الوقوف على المزيد من المعارف عن القـوة الثالثـة التـي لا سبيل إلى وصفهـا، والأقدس مـن أن تحددها كلمات اللغـة، من حيث إنها ـ وهي المحدثـة للتوازن بين الموجب والسالب ـ لا بد كائنـة ولا بد معادلة في القوة لتلك القـوى المتضادة. ومن هذا السعي إلى الوقوف على كنه تلك القوة الثالثة، خطوة قصيرة إلى الرغبة في استخدام مـا تفضـي إليه المعرفة بها. والقدرة على استخـدام تلك المعرفة وجه من أوجه ما نسميه بـ«السحر».

العدد (4) المربع الكامل

أما العدد (4) فاستمد أهميته من انكباب كهنة (أون) بهليوبوليس علـى تعمّـق مضاميـن الأبعـاد المكانيـة، وإقامتهـم المذبح مربع الأركان المتوجه كلُّ ركن من أركانه إلـى جهـة مـن الجهـات الأصلية الأربـع، التـي قالـت الأسطورية الدينية المصرية القديمة عنها: إن

العدد واحد رمز لله مركز الكون المتمثل في دوائر كما ورد في مصنفات السحر الشعبي

أبناء حورس الأربعة يحرسونها، وفي لاهوتية هليوبوليس كانت قدرة الخلق الأصلية مقسمةً ذاتها إلى: الأرض، والماء، والنار، والهواء: الأرض تنجب كل حياة، وتزود كل حيّ بما يقيم أوده؛ لكنها ـ في النهاية ـ تبتلع كل حياة أنجبتها، والماء يعطي المطر ويسبب الخصب ويحدث الفيضان؛ لكنه أيضاً يحدث الدمار من حيث كونه عنصر الفوضى الأولى المهدَّد أبداً باجتياح الخليقة، والهواء نفس الحياة المسمى: النور، والدفء ومنبع الحياة الواعية؛ لكنها أيضاً عنصر الدمار الذي يُهلك ولا يبقى على شيء. تلك العناصر الأربعة معاً تشكل المحصلة الكلية للكون بكل أوجهها المتضادة الإيجابية والسلبية والخيرة والضارة[1].

الأفكار نفسها انتقلت إلى إخوان الصفا (في القرن العاشر الميلادي) حين اعتبروا أن العدد 4 أصل الموجودات، ورتبوه على الأمور الطبيعية والروحانية، واعتمدوا في ذلك على المربعات؛ لأنهم وجدوا عدد الأربعة في أكثرها، فصار له شرف الصدارة عندهم، مع ما لسائر الأعداد من الفضل في نسبة بعضها إلى بعض، كما توجد النسبة في الأمور الطبيعية والأمور الروحانية، فمن ذلك قولهم في الرسالة الأولى: «إن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها الباري جل ثناؤه مربعات، مثل الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة؛ ومثل الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتراب، ومثل الأخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمرتان (المِرّة الصفراء والمِرّة السوداء)، ومثل الأزمان الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، ومثل الجهات الأربع، والرياح الأربع: الصبا والدَّبُور، والجنوب والشمال، والأوتاد الأربع: الطالع والغارب ووتد الأرض، والمكونات الأربع التي هي المعادن والنبات والحيوان والإنس، وعلى سبيل

1 ـ للمزيد، انظر شفيق مقار، **السحر في التوراة**، ص 479.

هـذا المثـال وجد أكثر الأمور الطبيعية مربعـات». وقد أكد هؤلاء تفوق علم الهندسة وعلم الكون وفقاً للتقاليد الفيثاغورية.

وهنـاك تقليد جـاء من الهند وفـارس أضاف مربعـات سحرية أخرى، منها ما يعرف بالمربع القيدي الذي استخدم فيما بعد كمفتاح للتخطيطات والرسوم الهندسيـة الإسلامية، وقد أخذت الحضارة الإسلامية هذا المربع وضمتـه إلـى اكتشافاتها فـي زمن مبكر، وتحتـوي فيـه مربعـات كـل مـن الصف الأول الأفقي والصـف الأول الرأسي على الأرقـام مـن 1 إلـى 9، وتمـلأ المربعات الأخـرى بحاصل ضـرب الرقمين الأفقي والرأسـي المتقابليـن (أو مجموع الأرقام التـي يتكـون منهـا حاصل الضـرب) في شكل يشبه شبكة الكلمات المتقاطعة مثال 7×9 = 63 (3+6 = 9) إن هذا المربع مليء بالطرائـف والمفاجـآت الرياضيـة، أولها الرقـم سبعة فـي مركز المربـع القيدي، وله قوة سحرية خاصة[1].

تمثـال رائـع لـرأس الصقر الـذي يرمز إلـى الإله حورس، والتمثال مصنوع من الذهب الخالص وطعمت العينان ببعض الأحجار الكريمة التي كانت لها خواص سحرية في المعتقـد المصري القديم. فالعينان هي حجر الأوبسيديان اللامع، ويبلـغ وزن الذهـب 635 جرامـاً ووزن الأوبسيديـان 32 جرامـاً ويبلـغ طـول الـرأس 37,5سم وعرضها 7,5سم ويرجع التمثـال إلـى عصـر الأسـرة السادسـة (حوالي عام 2350 ق.م).

وإن كـان العـدد 4 قـد احتـل تلـك المكانة عند فلاسفة الإسلام ومن قبلهم عند كهنـة الحضـارة المصرية القديمة فمـا بالك بالعـدد 7، الذي كـان ـ دينياً

1 ـ سليمـان محمود حسن، **الرموز التشكيلية في السحر الشعبي** (سلسلة آفاق الفن التشكيلي، هيئة قصور الثقافة، القاهرة 1999م، ص 180).

وسحرياً ـ أعظم الأعداد أهمية عند المصريين، بالنظر إلى كونه العدد المجسِّد للكمال والاكتمال، فهو الذي يرمز إلى وحدة الروح والمادة، وحدة العدد (3) والعدد (4). ولسنا بحاجة إلى الذهاب بعيداً في بحثنا عما يجسد مغزى العدد (7) وأهميته عند المصريين، فلدينا الهرم ـ الذي ما زالوا حائرين فيه حتى اليوم آخذين في نسبته إلى «مهندسين يهود» أو زوار جاءوا من الفضاء فبنوه ـ وقاعدته المربعة التي ترمز إلى الجهات الأربع الأصلية وجوانبه الثلاث التي ترمز إلى الثالوث، ولدينا أيضاً اللاهوتية المصرية كلها، وكون العدد (7) فيها العدد المقدس للإله الشمس رع، مسبِّع القدرات، والإلهة معات ربة الحقيقة، وبالنظر إلى أنه حاصل جمع العدد (3) ـ الرمز الرئيس للألوهة في الديانة المصرية ـ والعدد (4) المجسد للمحصلة الكلية للعالم الذي أوجدته الألوهة، فهو العدد السحري الأشمل والأكمل والأفعل تعبيراً عن وحدة الإله وخليقته.

وقد وصف الفيلسوف الإسلامي ابن سينا الذي وُلد سنة 980م فلسفة الكون بدوائر سبع، وكان كل كوكب يناظر مربعاً سحرياً، ويتولد عن هذه المربعات عدة تراكيب من التخطيطات، ويشير ابن سينا إلى الأفلاك السبعة وخصائصها العددية. ويضيف التلمساني صاحب كتاب (سكردان السلطان) تحت باب (في ذكر شرف هذا العدد [سبعة] وخاصيته ومزيته على غيره من الأعداد) يقول: «السبعة أول الأعداد الكاملة؛ لأنها جمعت العدد كله؛ لأن العدد أزواج وأفراد، فالأزواج منها أوّل وثان، فالاثنان أول الأزواج، والأربعة عدد ثان والثلاثة أول الأفراد، والخمسة فرد ثان، فإذا جمعت الزوج الأول مع الفرد الثاني، أو الفرد الأول مع الزوج الثاني كانت سبعة، وهذه الخاصية لا توجد في عدد قبل السبعة... والعرب تبالغ بالسبعة؛ لأن التديل في نصف العدد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة ولا زيادة على

ذلك... والسبعة عدد مقنع؛ لأنها في السموات والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه، وفي أعضائه التي بها يطيع اللّه، وبها يعصيه، وهي عيناه وأذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه. قال الإمام فخر الدين في أسرار التنزيل: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكلّ كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق باباً من الأبواب السبعة، عن عضو من الأعضاء السبعة»[1].

الأعداد وآثار الحضارات القديمة

وقد حاول بعضُ المؤرخين والرحالة أن يطوعوا استسرارية العدد على عجائب مصر الأثرية أو التي كان للسحر دور لا بأس به في وجودها، فبنيت الأهرامات في المخيلة الشعبي باستخدام السحر في نقل أحجارها الضخمة من المحاجر إلى مكان البناء؛ إذ يبدو بوضوح أن تلك الروايات تأثرت بما شاع عن المصريين من فنون السحر، كما قدمت لنا صورة عن أفكار الناس وآرائهم عن الأهرام، والتي عدوها من فضائل مصر والحارسة لها، كما تعكس مدى انشغال الذهنية الشعبية بأخبار تلك الآثار. فراح الوجدان الشعبي يضيف من تصوراته وموروثاته إلى تلك الروايات، فجاءت متعددة بمقدار انشغال الوجدان الشعبي بها. كما تبيّن لنا أن الوجدان الشعبي حاول أن يختلق (علاقة شرعية أو غير شرعية) بين الأهرامات والسحر، وهدف إلى إظهار النواحي السحرية التي استندت عليها أسس عمارة الأهرامات، وخُيِّلَ للوجدان الشعبي أن من الجائز أن يكون من بين أغراض البناء

شكّل الهرم سحراً كبيراً للمصريين القدماء، انطلاقاً من ربطه بشكل التل الأول الذي اعتقدوا أن الحياة نشأت عنه.

1 ـ التلمساني، **سكردان السلطان**، ص 356 ـ 357.

محاكاة بعض المظاهر الطبيعية، واستنباط طراز معماري خاص من نظامها.

فلقد مثل شكل الهرم سحراً كبيراً للمصريين القدماء، انطلاقاً من ربطه بشكل التل الأول الذي اعتقدوا أن الحياة نشأت عنه، كما أنه ما زال يمثل لنا سحراً حتى اليوم من حيث ضخامة تشييده، وانعكس هذا السحر على مصنفات السحر الشعبي التي بين أيدينا اليوم، والتي نجد فيها الشكل الهرمي المثلث مستخدماً في عمل الأحجبة والتمائم والأحراز، التقديس يجعلنا نتساءل عن صلة هذا الطابع الهندسي المخروطي أو المثلث بجوانب من الفنون الشعبية القديمة أو القائمة حتى الآن، والذي يبدو جلياً في الرسوم السحرية على شكل مثلثات أو أشكال مخروطية التي افترشت بها كتب السحر الشعبي، إضافة للتشابه بينها وبين تلك الأشخاص المجردة التي تكثر في مخطوطات السحر التي تظهر فيها أجزاء الجسم كما لو كانت مربعات أو مثلثات أو دوائر، وربما من هنا اتخذ شكل المثلث طابعاً سحرياً ودينياً؛ إذ نرى إيزيس الممثلة في كثير من تماثيل دولة البطالسة في مصر ممسكة بالمثلث الحديدي، ومتخذة منه سلاحاً لطرد الأرواح والشياطين الضارة.

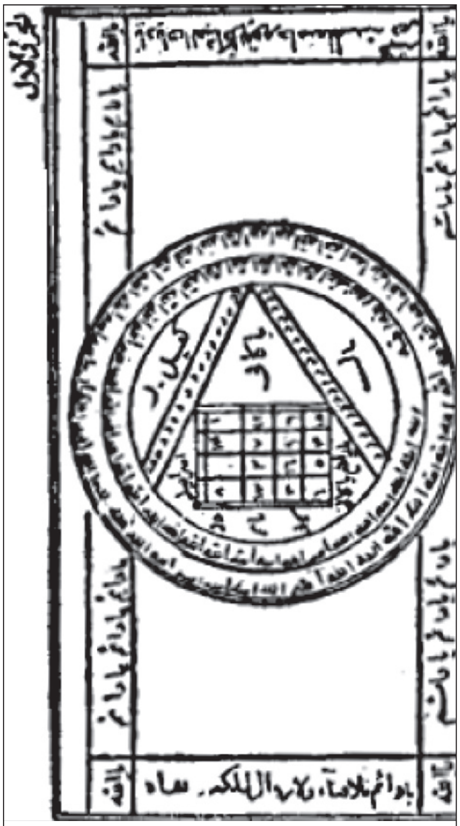

فكرة المثلثات التي استخدمت وبقوة في أعمال السحر الشعبي مع العديد من الأشكال الهندسية الأخرى

وفي فنوننا الشعبية في الوقت الحاضر نجد الأجراس الهرمية أو المثلثة الشكل مستخدمة كثيراً في لجام وسرج بعض الدواب، ولا سيما ما يجر منها العربات؛ حيث يمكن أن نستشف منها الغرض السحري الذي يهدف إلى طرد الأرواح أو الشياطين التي قد تؤثر على الدابة فتجعلها تتعثر في سيرها، فالدابة التي تجر العربة أو تحمل حملاً تبدو أحياناً غير مبالية بثقل الحمل، خفيفة في حركتها كما لو كان الدافع أو المعين لها بعض الأرواح، وفي أحيان أخرى تتعثر لحمل أقل ثقلاً، وتجمح في السير، وكأن «عُكوساً» تؤثر عليها، فلعل هذه الأسباب مجتمعة تحمل الرجل الشعبي على تزويدها ببعض الأجراس المثلثة الشكل أو المخروطية التي تعدّ بمثابة دروع وقائية تحمي الدابة من الأرواح الشريرة والشياطين كأن الشكل الهرمي أصبح حرزًا أو رصداً يحمي الدابة[1]، ونجد أن شكل المثلث الهرمي ينتشر بقوة في الموروث الشعبي المتعلق بخاتم سليمان (وهو الخاتم الذي استطاع سليمان به أن يستخدم الجن ويسخره، فحملت له البساط، وقطعت له الأحجار، وبنت له الهياكل والقصور)، وتشير بعض مصنفات السحر الشعبي أن هذا الخاتم هو تطوير لخاتم على شكل هرمي كان لآدم عليه السلام؛ إذ أن قيمته العددية ذات الطابع السحري تساوي (15) بحساب الجمل[2]، وقد نسب هذا الخاتم أيضاً إلى آصف بن برخياء وزير سليمان، ويذكر الموروث الشعبي أن آخر من ملك هذا الخاتم كان الإمام الغزالي[3]، ولذا ينبغي ألا ندهش بعد هذه القرائن من أن نعثر عند الشعبيين على أحجبة مصنوعة على شكل هرمي أو مثلث جمعت في منشئها بين الغرض الديني والغرض النفعي.

---

1 - سعد الخادم، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص 80.

2 - علي أبو حي الله المرزوقي، **الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجن في الوقت والساعة**، (مكتبة القاهرة 1959م)، ص 21.

3 - سليمان محمود حسن، **الرموز التشكيلية في السحر الشعبي**، ص 158.

فالقصص التي تدور حول هذا الموضوع كثيرة ومتناثرة في بطون الكتب التاريخية؛ ولكنها تشترك جميعاً في صفة واحدة هي المبالغة التي تعكس الانبهار بمصر: الإنسان، والأرض، والحضارة، والتي تنسب الكثير من منجزات هذه الحضارة إلى أعمال السحر والخوارق في خروج من دائرة ما هو مألوف إلى انفتاح على اللامألوف وتجلياته، مما يعطي القناعة بأن العجيب متجذر في الكتابة التاريخية المتعلقة بمصر تجذراً يجعل منه سمة بارزة، وشكلاً يحضر مرة بهذه الصفة، ومرة أخرى يحضر باعتباره عنصراً تحفيزياً تاريخياً حقيقياً وفاعلاً في الواقع والوقائع.

وهكذا، بقدر ما بهرت الآثار العظيمة التي خلفتها الحضارة المصرية القديمة، والتي لم تخلف مثلها حضارة أخرى من حضارات العالم القديم، بقدر ما بهرت هذه الآثار العالم في العصور القديمة والوسيطة والحديثة، التي عرفت جميعاً ذلك الهوس الجمالي بتلك الآثار، والذي عبر عن نفسه فيما كتبه الرحالة والمؤرخون والرحالة والأدباء طوال تلك العصور، ولا يزالون حتى يومنا هذا يوالون التعبير بالكلمة والصورة عن ذلك الهوس النبيل، بما أبدعه الإنسان المصري القديم من آيات حضارية شامخة، بقدر هذا الإعجاب الإنساني بحضارة مصر القديمة ـ الذي لا يماثله إعجاب بأي من الحضارات الإنسانية الأخرى ـ بقدر ما تعرضت هذه الآثار المصرية العظيمة ـ من أقدم العصور أيضاً إلى يومنا هذا ـ للعدوان والمحو والتشويه والسرقة والاستهانة والتهريب والجهل الغليظ، وشارك الكثير من الناس والحكام في تلك الجرائم والخطايا التي ارتكبت في حق الآثار المصرية العظيمة، وصدقت نبوءة الحكيم السكندري «**أسكليبيوس**» عن مصير تلك الآثار والتي يقول فيها: «يقترب الوقت الذي لا يعرف فيه أحد ديانة المصريين وسيهجر بلدنا، وستكون القبور والموتى فقط شهوداً عليه. فيا مصر! لن يبقى

مـن مذهبك سـوى أساطير، لا يؤمن بها أحد مـن الأعقاب، ولن يبقى غير الكلام المنقوش على الحجر، والذي يحدّث عن قدماء الآلهة»، ولم تتحقـق نبوءة رمسيس الثانـي المكتوبة على جدران معبده: «سيظل هذا بيتاً للرب إلى الأبد»[1].

تلـك بعـض لمحات من تاريخ الآثار المصـريـة وكنـوزهـا التي لم تكـن أسعـد حالاً مـن بُناتها الحقيقييـن أهل مصر الذيـن ظلوا خارج المعادلـة طـوال العصور؛ لكنهـم ـ مثل آثارهم العظيمـة ـ قاوموا ـ ولا يزالون ـ كل عوامل الفناء على يد بعض السفهاء من الحكام الفاسدين المارقين!!!

1 ـ إميـل لودفيـغ: **النيـل حيـاة نهر** (ترجمـة: عادل زعيتر، مكتبـة الأسرة، القاهـرة 2000م)، ص 663 وص 665.